الكذب في اليمين على أنصار الطواغيت

للشيخ؛ أبي محمد المقدسي

*   *   *

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

يحدث أن يستحلف المسلم من قبل الطواغيت عند شهادته أو سؤاله عن بعض المسلمين والنبي صلى الله عليه وسلم قد قال : (اليمين على نية المستحلف) فما حكم الكذب في اليمين أو التأول فيه سواء كان لخوف ظالم على نفسه أوسترا على إخوانه أو لغير ذلك وجزاكم الله خير ..

*   *   *

الجـواب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسـول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه..

إعلم أن الحالف أو المتكلم عموما لا يخرج عن واحد من ثلاث :

إما ان يكون ظالما أو مظلوما .. أو ليس بظالم ولا مظلوم ..

- الأول : فإن كان ظالما :

أي يحلف كي يأكل حق مسلم أو يتهرب من أداء حق شرعي واجب عليه كدين مستحق أو دية أو نفقة زوجة أو إرث أو غير ذلك من الحقوق ..

فمثل هـذا لا يجوز له الكـذب ولا التأويل باليمين ، ولو تأول في يمينه فأراد شيئا غير ما استحلف عليه لم يصح

ذلك وكان كاذبا آثما .. قال ابن قدامة المقدسي : (وبهذا قال الشافعي ولا نعلم فيه مخالفا) أهـ من المغني

والـدليل عليه ما رواه مسـلم وأبو داود عن أبي هريـرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم: (يمينك على ما يصدقك به صاحبك) وروى مسلم أيضا عن أبي هريـرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قـال : (اليمين على نية المستحلف) .. وليس الحالف .. وقـالت عائشة رضي الله عنها : (اليمين على ما وقع للمحلـوف عليه) لأنه لو ســاغ التأويل في اليمين في مثل هـــذا لبطل المعـــنى المبتغى من اليمين ، ولأكل الناس حقوق بعضـهم بعضا .. إذ المقصود من اليمين تخويف الحالف ليرتدع عن الجحود خوفا من عاقبة اليمين الكاذبة ؛ فمـــتى ســـاغ التأويل له انتفى ذلك وصار التأويل وسيلة إلى جحد الحقوق .

- الثاني : أن يكون مظلوما : مقهورا من سلطان ظـالم أو حـاكم كـافر لن يحكم فيه بشـرع الله ولن يعـدل في الحكم ، فليس العدل إلا في حكم الله تعالى .. فهذا يجوز له التأويل في اليمين بـأن يحلف على ما يخلصه أو يخلص أخاه المسلم من الظالم وينـوي شـيئا آخر ، لأنه لو صـدق في اليمين لظُلِم أو لظلَم غـيره أو نـال مسـلما بضـرر ، فيجوز له التأويل في اليمين كـأن يقـال له : أرأيت فلانا ؟ فيقـــول ما رأيته ، ويريد ما ضـــربت رئته . أو يقـــال له : أذكرت الحاكم ؟ فيقول : ما ذكرته . وينوي ما قطع ذكـره . فإن هذا مسـتعمل في لغة العـرب ، أو أن يتكلم ويعـني في كلامه بالسـقف والبنـاء السـماء . و الفـراش الأرض والأوتاد والجبال .. أو يعني غير المذكور والمسـؤول عنه ؛ كأن يكـون مستضـعفا آخـذا بالتقية لا يمكنه إظهـار دينه ؛ ويســـأل : أتكفّر الحـــاكم ؟ فيجيب : (مســـائل التكفـــير خطـيرة ؛ وأنا أخشى من الخـوض فيها لما جـاء فيها من الوعيد على تكفير المسـلم ! وأنا لا أكفر مسـلما) أو نحو ذلك مما يخلصه ، وقد قـال تعـالى : (إلا أن تتقـوا منهم تقاة) فله ان اختار الرخصة أن يأخذ بالتقية دون أن يفعل أو يصرح بكفر ؛ خصوصا وأنهم ليسـوا طلبة حق في هـذا وإنما يقـرروه ليـدونوه بقـوانينهم الكـافرة ويسـجنوه فلا ينبغي أن يجعل لهم عليه ســـــبيلا .. أو أن يطلب الظلمة مسـلما لأسـره فيسـألون عنه ، فيقـول لهم : ذهب إلى المسجد ، وينوي أنه ذهب بـالأمس ، أو يقـول قد سـافر ، وينوي أنه سافر قبل شهر أو سنة .. وهكذا ...

وقد روى الإمـام أحمد بإسـناد لا بـأس به عن سـويد بن حنظلة قال :

(خرجنا نريد رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم ومعنا وائل بن حجر فأخـذه عـدو له فتحـرج القـوم أن يحلفـوا ، فحلفت انه أخي فخلى سـبيله ، فأتينا رسـول الله صـلى الله عليه وسلم فـذكرت ذلك له فقـال : أنت كنت أبـرهم وأصدقهم ، صدقت ؛ المسلم أخو المسلم)

وفي صحيح البخاري في قصة ابراهيم وسارة مع الجبار الظالم لما سأل عن سارة ، قـال ابـراهيم عليه السـلام : هي اختي !

وهذا كله من التأويل الجائز الذي وسع فيه الشـارع؛ بل لو اضطر في مثله إلى الكذب الصـريح لما كـان عليه من حـــرج لأنه لا يجـــوز له أن يســـلم نفسه أو أهله أو إخوانه لأعداء الله ويسلطهم عليه يفعلون به ما شاؤوا ..

فهو إما أن ينـــدرج تحت قاعـــدة الضـــرورات تـــبيح المحظـورات أو قاعـدة دفع أعلى المفسـدتين باحتمـال أدناهما ..

<u>الثالث : أن لا يكون ظالما ولا مظلوما ولكن يحتـاج إلى ذلك .</u>

فهذا لا يحل له الكـذب الصـريح ولكن يتـأول ويسـتعمل المعاريض ، فإن النبي صـلى الله عليه وسـلم قـال : (إن المعاريض لمندوحة عن الكذب) يعني أن سعة المعاريض التي يوهم بها السـامع غـير ما عنـاه ؛ تغـني الإنسـان عن الكذب الصريح ، وقد بوب البخاري في صحيحه في كتـاب الأدب (بـاب المعـاريض مندوحة عن الكـذب) وذكر قصة موت ابن أبي طلحة وقـول أم سـليم لما سـألها عن حـال الغلام وقد كان مريضا : (هَـدَأَ نَفَسُـه وأرجو أن يكـون قد استراح)..

وروي أن مهنا كـــان عند الإمـــام أحمد هو والمـــروذي وجماعة فجاء رجل يطلب المروذي ولم يـرد المـروذي أن يكلمه ، فوضع مهنا إصبعه في كفه وقال : ليس المـروذي ههنا . وما يصنع المـروذي هنا ؟؟ يريد ليس هو في كفه .. فلم ينكر ذلك الإمام أحمد .

وروي أن مهنا فعل مثل ذلك أيضا مع الإمــام أحمد من بـاب حرصه على سـماع الحـديث أو اسـتعجاله في ذلك ، فقال له مرة : إني أريد الخروج – يعـني السـفر إلى بلد ، وأحب أن تسمعني الجزء الفلاني ، فأسـمعه إيـاه ، ثم رآه بعد ذلك فقال ألم تقل أنك تريد الخروج ؟ فقال له مهنا : قلت لك إني أريد الخروج الآن ؟؟ فلم ينكر عليه .

وروى سعيد عن جرير عن المغيرة قال : كـان إذا طلب إنســان إبــراهيم ولم يــرد إبــراهيم أن يلقــاه خــرجت إليه الخادم وقالت : إطلبوه في المسجد .

ويــدل على صــحة ذلك كله أن النــبي صــلى الله عليه وسلم كان يمزح ولا يقول في مزاحه إلا حقا ، ومزاحه أن يوهم السامع بكلام غير ما عناه وهو التأويل .

فقال لعجوز مرة : (لا تـدخل الجنة عجـوز) ثم بيّن أن المعنى أن الله تعالى ينشئهن أبكارا عربا أترابا .

وروي عن أنس إن رجلا جاء إلى النــبي صــلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إحملني – أي في غزوة أو سفر – فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا حاملوك على ولد ناقة ! فقــال الرجل : وما أصــنع بولد الناقة ؟ فقــال صــلى الله عليه وســلم : وهل تلد الإبل إلا النــوق ؟؟ وهو عند أحمد وأبو داود وقــال لامــرأة ذكــرت زوجها : (أهو الذي في عينه بياض) فقـالت يا رسـول الله : إنه صـحيح العين !!

وأراد النبي صلى الله عليه وسلم ؛ البيـاض الـذي حـول الحدق وهو عند كل الناس.

وقال صلى الله عليه وسلم لرجل احتضنه من ورائه : (من يشتري هذا العبد ؟) فقال : يا رسول الله تجـدني إذا كاسدا . قال : لكنك عند الله ليس بكاسد .

وهــذا كله من التأويل والمعــاريض المشــروعة ، فقد سـماها النـبي صـلى الله عليه وسـلم حقا ، فقـال : (إني لأمزح ولا أقول إلا حقا) رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة ورواه غيره عن ابن عمر وأنس مرفوعا .

فهذا وشبهه هو التأويل الذي لا يجوز للظـالم ولا يسـوغ له ولا يعذر به ؛ ويسوغ لغيره مظلوما كان أو غير مظلوم

لأن النـبي صـلى الله عليه وسـلم كـان يقـول ذلك ويفعله في المـزاح من غـير حاجة به إليـه.. فجـوازه عند الحاجة إليه من بـــاب أولى ؛ فضلا عن أن يضـــطر أو يلجأ إليه المــرء دفعا للظلم عن نفسه أو عن أهله وإخوانه .. هــذا والله أعلم ونسبه العلم إليه أسلم .

وصـلى الله وسـلم على نبينا محمد وعلى آله وأصـحابه أجمعين .

أخوكم؛ أبو محمد

منبر التوحيد والجهاد

sw.dehwat.www
ofni.hannusla.www
ten.esedqamla.www
moc.adataq-uba.www